أنا من هناك

مرحبا ..

إسمي ليندا،عمري يتراوح بين 25 و 35 سنة، من الاشخاص الذين أتوا بمفردهم إلى هولندا، ولا ينتظرون عائلاتهم القادمة وفق نظام لمّ الشمل، لن يعرفني معظم الشعب الهولندي، لكنني أصبحتُ أعرفُ الكثير عن هذه البلاد ...

حقيقةً، ليس الكثير، لكنّ ما كدّسته في رأسي من معلومات على مدارِ سنةٍ و نصفٍ تقريباً ليس بالشيء القليل في حياةِ الإنسان .

رأيتُ 8 مدن هولندية أثناءَ تنقّلي لأحصلَ على تصريحِ إقامتي المؤقتة في بلادك،

8كامبات أذكر منها: "تير آبل، بودل، خلزة، كاتفايك ....

قابلت في هذه الكامبات العديد من الأشخاص ومن مختلف الجنسيات، ولم يتسنّى لي أن أشكرَ من منحني حق اللجوء بعد.

أعتبر نفسي محظوظة كوني تعلُّمت قيادة الدراجة الهوائية في هذه البلد،

كلّفني ذلك أنّي سقطتُ في النهرِ مرَّة و على الأرض عشرات المرّات

كنت أحاول أن أخفيَ جهلي بالقيادة عن أطفالكم حين وقعت آخرَ مرّة، كانوا يضحكون من تلعثمي بالقيادة و أضحكُ معهم من مجموعةِ خبراتي الجديدة و المكتسبة مؤخراً و التي باتت تغيّرني تدريجياً.

سنةٌ و نصف تقريباً كافيةً لتعلّمي قوانين ركوب الدراجة الهوائية و أبهرني نظامُ الإشارات الضوئية و الشوارع المخصصة للدراجات.

<u>ربما يجب أن أخبرك عني أكثر في البداية:</u>

أعمل كصحفية منذ عشر سنوات، أكسبني ذلك جُرأةً أصبحتُ أفتقدها هنا، زرتُ العديدَ منَ البلادِ العربيةِ بدافعِ العملِ، لكنَّ الأمرَ يختلفُ تماماً حينَ تُصبحُ سائحاً بالإكراهِ، السبب العام للجوئي إلى هنا هو الحرب المستمرة في بلدي سوريا وسببي لاختيار بلدك "هولندا" أنها تحترم حرية الصحافة و التعبير.

كنت أرى لونها بالأبيض على خريطة حريات التعبير في العالم و أحلم أن أزور تلك البلاد التي تقدّس حرية الصحفيين.

كيف جئت إلى هنا:

تتشابه رواياتنا كلاجئين عن طريقة مجيئنا لكن بالنسبة لي،

كلَّفني أمل الوصول " 9 ساعاتٍ من الغرقِ في البحر و تضرر في نصف إحدى رئتيي، التي أصبحت تعملُ بِتَمَلمُلٍ و مِزاجيِّة لا تُطَاقان.

أحمِلُ في حَقيبتي جهازُ تسجيلٍ صوتيٍّ اعتدتُ حملهُ معي أينما ذهبت، حتى بعدَ أن أصبحتُ لاجئة، "بَخَّاختان مِنَ الهواءِ المُخبَّئِ فيها للأزمة التنفسية التي لدي"، لفسحِ مَجالٍ في شُعَبي الرئويِّة و أقراصٍ لمَنعِ الحساسيةِ المُفاجِئةِ لكلمةِ لاجئ.

إذا ... أنا مدينةٌ لكم بقدرٍ كبيرٍ من الهواء الرطب، أحمل بطاقتي القابلة للتجديد و التي سمحت لي بحقوق مختلفة، أكره صورتي فيها و التي أخذها موظُّف الهجرةِ على عجلٍ ، لم يخبرني أنها ستلازمني لخمس سنين قادمة

اللاجئون الجدد و عيد السنة الجديدة :

فكرتُ كثيراً أن أكتب لكم عنّا كسوريين لاجئين، لكنّ ذلك أشعرني أنني الأضعف و أن طريقي للإندماج طويلٌ وشاق.

بعد أيامٍ قليلة سيأتي عيد رأس السنة، سمعت الكثير عن سنتاكلوز وهداياه، أمنياتُ الصغارِ و جوارب حمراء،شجرةُ عيدِ الميلادِ و الزينة.

دعني أخبركَ قليلاً عن ذلك الذي سكنَ بقربكَ مؤخراً و أصبحَ جارك، ذلك السوري اللاجئ، لابد أن طريقة احتفاله تشغلكَ، وهل من سوريٍّ يحتفل؟.

تبدأ احتفالات مدينتي لعيدِ رأسِ السنة في شهرِ نوفمبر تقريباً، يُزيّن الباعةُ واجهاتِ المحلَّات و يَغلُو سعرُ الثيابِ، تزدحمُ الأسواق.

ربما يجمعنا سويَّاً أمنياتُ العيد، و لأن تلافيف دماغي الصغير لم تزل تحتفظ بذكرياتي الخضراء، فأنا لم أزل أحفظ تفاصيل احتفالاتنا قبل الحرب.

بعضنا يسهر خارج المنزل مع عائلته و البعض الآخر يكتفي بالسهر في منزله مع عائلته أيضاً.

الأمهات تحضِّرُ المأكولات اللذيذة و الخاصَّة بهذا العيد مثل " الكنافة" بالقرفة و المكسّرات، الفواكه و الكيك و لاننسى الكستناء على المدفأة.

يحرص غالبيتنا على سماع توقّعات الأبراج الفلكيّة للسنة القادمة و نتابع أمنياتكم بشغف.

كنت مولعةً بالعدِّ العكسيِّ للثواني الأخيرة كلّ مرّة.

لنَقُلْ أخيراً أنَّ تفاصيلَ أفراحِ الشرقِ الأوسطِ تختلفُ عن دولِ الاتحاد الأوروبي، لكنَّ ما أعرفهُ جيداً أن أمنياتنا كانتْ بسيطة جداً و ثلجنا الأبيض يذوب بسرعة.

<u>تجربتي مع احتفالاتكم في العام الماضي:</u>

أسعفني الحظ و حضرتُ احتفالكم السنةَ الماضية، كنتُ غريبةً و كان الإحتفالُ بارداً.

ربما يجب أن أكون أكثر تهذيبا و أقول لك، احتفالكم كان رائعاً لكنَّه لم يدهشني! ما عدا الجزء الخاصُّ بإطلاق المفرقعاتِ فقط.

كان الناسُ مجتمعينَ في الساحاتِ يطلقونَ المفرقعات بالهواءِ بفرح، يفتحونَ زجاجاتِ الشمبانيا فوقَ رؤوسِ المتواجدينَ بفرح .... كم جميلٌ شعور الثقةِ بالقادم من الأعوام ،و كم تصبحُ مُهمَّةُ الفرحِ أسهل حينَ تتوحَّدُ اللغة.

يومها ذهبتُ مع مجموعةٍ من اللاجئينَ الجدد لساحةِ المدينةِ و بالصدفة تجمَّعنا في زاويةٍ واحدةٍ ، ظهرتْ وكأننا خصصناها لأنفسنا ، جميلٌ أن ترى الفرحَ من خلالِ نافذةٍ تطلُّ بها على العالم ، اعتدنا أن نَراكُم في شاشات التلفاز ، كنتُ أرى فرحَ العالمِ و العدِّ العكسيَّ لآخرِ ثواني السنة، في الحقيقة كان المشهدُ أجمل من خلال التلفاز.

هناك في الساحة مَن خاف يومها مِن أصواتِ المُفرقعاتِ وخبَّأ رأسَهُ أو صمَّ أذنيه ، ومنّا من ضحكَ بانتصارٍ غريبٍ

رائع أن تنتصرَ على الحرب و يُخطئكَ الموت مصادفةً.

دعني أكملُ ما بدأت، سأكتب اليوم عن الفرح القادم من الغرب، و كي أكون منصفة مع احتفالاتكم المهيبة، تمنّيت أن أكون مجرَّد سائحةٍ تقضي عطلة الكريسماس هنا، وقتها لن أخجل من الرقص معكم في الساحات، حتى و إن لم أكن أتحدث الهولندية بطلاقة، فأنا العابرةُ المتسكِّعة في أوروبا الجميلة.

في السنة الماضيةِ كان هاتفي لاتزال شاشتهُ مكسورةً، وحرصتُ على إرسالِ صورِ احتفالاتكم إلى أمي التي تسكن في حلب، أردتُ إخبارها أنني بخير و أنّي أتعلّم الفرح باللغةِ الهولندية.

ماذا خبُّأت للسنة الجديدة2017 ؟

لعل الحدث الابرز سنة 2016 كان انتقالي إلى بيتي الصغير و الخاص بي في مدينة هارليم بهولندا ، أصبح لديَّ جيرانٌ أيضاً هم يتحدَّثون الهولنديَّة بسرعةٍ و أنا ... أحاولُ أن أفهمهم و أتبع لغة جسدهم.

اشتريتُ لهم بطاقات المعايدة عليها رسومٌ ملوَّنة، حرصتُ أن أختارهم بما يناسبُ ما أملك من المال، وشجرة ميلادٍ صغيرةٍ وضعتها على شبّاك غرفتي المطلَّةِ على الشارعِ.

لن يشاركني أحدٌ في ترتيبِ زينتها و ما مِن هَدايا ستُوضعُ في جواربَ حمراء، لكن يُغريني فعلُ الفرح و أتبعُه كالشمس حيثما وُجِدْ.

أحاول منذ أسبوع كتابة جملة مناسبة باللغة الهولندية لجيراني، تعلمتُ بضع كلماتٍ هولنديةٍ بشكلٍ جيدٍ و طلبتُ من مدرِّسَتي أن تساعدني بتركيب جملةٍ مفهومةٍ.

كيف لي أن أبدأها ... " أنا ليندا جارتكم الجديدة في الحي، قولوا لي صباح الخير و تمنَّوا لمدينتي السلام"

سأوزُّع البطاقات بحروفٍ مكسَّرَةٍ مُتلعثمةٍ، و أحتفل.

جيد أن تعرف أكثر لأننا نخاف ما نجهل:

لابدَّ و أنكَ سمعتَ ما يقوله مذيعوا الأخبار عن بلدي، عن مدينتي التي أعشق" حلب" أقدمُ مدينةٍ مأهولةٍ في التاريخ القديم" لابدَّ تعلم أنها باتت ناراً لاتشبعُ من الحطب. سألني مرَّةً الموظفُ الذي ركَّب لي الغسالةَ "بعد أن عرف أنني سورية" ، هل ما نشاهدهُ في الأخبار عن بلدكِ فوتوشوب أم حقيقة!

أنا متأكدة أن المهم و المفيد الآن أن تعرف كيف يحتفل جارك السوريُّ الجديد. أستطيع القول وباختصار:

لا تستغرب من جارك الجديد إذا رأيته يضحك و يبكي في نفس الوقت، يصلّي و يشرب الكحول، يبتسم و يعانقك فجأة.

لاتندهش ... فهو القادم إلى الحياة و الباحثُ "مثلي" عن مفتاحٍ للفرح.

يختلف الاحتفال هنا، فهناك في بلدي من يحتفل بالرقصِ في الساحات، و هناك من يبكي على سماعةِ هاتف شوقاً لمن سافر من أصدقائه وعائلته، و البعض يصرّ أن يحتفلُ بإطلاقِ الرصاص.

سمعتُ مؤخراً جملةً من صديق :" جميل أن لاتملك ما تخاف لأجله، فالخوف ضعف يجعلكَ أسيراً في ذكرياتك".

دعني أقولها على طريقتي و حسب السنة الجديدة.

"جميلٌ أن تفرح دون حاجتك لشبكة انترنت لتكون مع من تحب .

جميلٌ أن تفرح بكامل الثقة الممكنة بالغد، والأجمل أن ينبع فرحك من نجاحٍ تحققهُ و أنت تنظرُ للأمام، وكما في قيادة الدراجةِ ليلاً، ضَوءٌ صَغيرٌ يكفيكَ لتقولَ أنكَ على الطريق الصحيح.

"ثِقي أنَّ القادِمَ أجملْ "جملةُ قالها لي صديقيَّ الهولندي و الذي التَقيتُهُ صدفةً، و أنا ... أثق به.

أمنياتي لكم ...

عيد سعيد و بلاد آمنة

ليندا بلال

لاجئة سورية